النظرية السياقية

قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص: لسانيات عربية

مقياس: النظريات الدلالية

اعداد: د. محمد فارح

عرفت مدرسة لندن باسم المدرسية السياقية بزعامة "فريث "Firthالذي أكد بشكل كبير على الوظيفة الاجتماعية للغة، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا نجد أن فيرث يصرح قائلا بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ولهذا فإن هذه المدرسة ترفض فكرة عزل اللغة عن المجتمع، وتدعو إلى الاهتمام بالسياق حتى يمكننا فهم الخطاب فهما صحيحا.

فدراسة معاني الكلمات داخل الخطاب لا يمكن أن يكون بمعزل عن تلك الحالات التي وردت فيها والمواقف التي تكونت داخلها، وإن إغفال السياق الخارجي والظروف المصاحبة للخطاب أو الملفوظ عموما هو ضرب من الجنون، لا يعطي نتائج دقيقة واضحة، كون الكلمة خارج السياق يمكن أن تحمل عدة معان، وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه فستتحدد الدلالة المقصودة، وتختفي باقي الدلالات الأخرى.

وتعد النظرية السياقية المدخل الأساس للنظرية التحليلية، حيث يرى ويلمان أن "المعجمي يجب أولا أن يلاحظ كل كلمة في سياقها، بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع علمي (أي في الكلام)، ثم نستخلص من الأحداث الواقعية العامل المشترك العام، ونسجله على أنه المعنى (أو المعاني للكلمة)". فإن المحلل اللغوي قبل أن يلجأ إلى استعمال المنهج التحليلي للكلمات لابد أن يلاحظها داخل سياقها، وذلك حتى يدرك تلك المعاني التي يمكن أن تتولد من الكلمة الواحدة، ويعمل على حصرها وعدّها.

أولا-نشأة النظرية السياقية:

لقد ارتكزت هذه النظرية على ثلاثة مجالات معرفية في بناء قاعدتها، وهذه المجالات هي:

1-علم اللغة الاجتماعي:

تعد فكرة السياق بالنسبة لهذا العلم بمثابة الانطلاق التي بدأ مسيرته منها، وضبط حركته الميدانية، ويبدو من تسمية هذا الاتجاه "علم اللغة الاجتماعي" أنه يدرس اللغة

في علاقتها بالمجتمع، والسبب الرئيسي لنشأة هذا العلم هو إغفال المدارس اللغوية السابقة عليه الجانب الاجتماعي والتركيز في دراستها للغة على جانبها اللغوي فحسب. فهي رد فعل لإغفال المدارس اللغوية السابقة للشق الاجتماعي للغة، حيث انكب اهتمامها بدراسة البنية الداخلية أو التركيب الداخلي للغة.

إن الوظيفة الأساسية لعلم اللغة الاجتماعي هي الكشف عن المعنى في الخطاب اللغوي وهذا ما ألح على تأكيده فيرث.

2-علم الأسلوب

تعد فكرة السياق أحد المحاور الرئيسة في المنظور الاحصائي للأسلوب، وهذا ما يتجلى بوضوح من اختيار الأديب للظواهر أو المتغيرات الأسلوبية في نص من النصوص، فهو ليس محض اختيار لغوي وحسب، وإنما هو اختيار محكوم بإمكانات المقال من جهة ومقتضيات المقام من جهة أخرى. ومن الملامح أو العناصر السياقية التي يتعلق بها الاختيار ما يلي:

-الإطار اللغوي (صوتي، صرفي، نحوي، معجمي).

-الإطار التركيبي.

-السياق الخارجي: ويشمل نوع القول وجنسه الأدبي، المتكلم والمستمع والعلاقة بينهما، سياق الموقف والظروف المحيطة به...

3-علم النص:

يفرق "ليتش" بين الخطاب والنص معتبرا أن النص هو التواصل اللغوي باعتباره تعاملا بين المتحدث السامع، أما النص فهو التوصيل اللغوي (منطوقا أو مكتوبا) باعتباره رسالة فحسب تتخذ صورة شفرات محددة. بهذا التفريق فإن الخطاب عند ليتش هو حدث لغوي قائم على التواصل الذي يبنى على السياق، أما النص فإنه مجرد بنية لغوية صورية مكونة من الشفرات اللغوية أو غير اللغوية.

ويذهب أحد أهم رواد هذا التوجه "فان دايك" إلى القول بأنه علينا أن نوظف جميع الإجراءات التي ينتهي إليها هذا العلم كي نتمكن من تحليل السياق الإدراكي لفهم النصوص وتحليل العوامل الاجتماعية والثقافية الفاعلة في تكوينها وعلى هذا الأساس فإن التحليل النصي لا يقارب من العوامل الاجتماعية

والثقافية المشتتة غير المتجانسة بطبيعتها إلا تلك التي تقوم بدور بارز في السياقات الإدراكية.

ثانيا-أقسام السياق:

ينقسم السياق إلى أقسام هي كالتالي:

1-السياق اللغوي:

إن السياق اللغوي يعمل على تغيير دلالة الكلمة تبعا لكل تغيير يمس التركيب اللغوي فهو المحيط الدلالي الذي يحدد مدلول العناصر اللسانية فيختلف المدلول باختلاف السياقات الواردة فيها، أي يتغير مدلول اللفظ من تركيب إلى آخر. ومثال ذلك نلحظه من خلال لفظ "اليد" الواردة في الأمثلة التالية:

- أعطيته مالا عن ظهر يد: أي تفضلا.
- هم يد على من سواهم: أي أمرهم واحد.
- يد الفأس: مقبضها.
- يد الدهر: زمانه.
- يد الريح: سلطانها.

- يد الطائر: جناحه.
- خلع يده من الطاعة: نزعها أي تمرد.
- بايعته يدا بيد: أي نقدا.
- طويل اليد: كريم جواد.
- سقط في يده: ندم
- حتى يعطوا الجزية عن يد: عن ذل. واعتراف للمسلمين بعلو أيديهم.
- إن بين يدي الساعة أهوالا: أي قدامها.
- يد الرجل: جماعة قومه وأنصاره.

2-السياق العاطفي:

إن هذا السياق يعمل على تحديد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، فلفظ يكره غير لفظ يبغض رغم اشتراكهما في أصل المعنى. ولفظ اغتال ليست هي لفظ قتل، حيث يفهم من أن لفظ قتل قد يكون بوحشية وآلة القتل تختلف عن تلك التي تكون في الاغتيال.

ومثال قول أحدهم:

إني لا أكره، بل إنني أبغضه، أبغضه وبشدة، فإنك تلاحظ أن الكره أقل درجة من البغض، وهذا التأكيد في آخر الجملة يدل على الحالة العاطفية التي سادت الموقف الذي قيلت فيه هذه العبارة، ويدل كذلك على أن الحالة النفسية مضطربة، والانفعال كبير جدا.

3-سياق الموقف:

هذا السياق يهتم "بالموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس: يرحمك الله، البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت الله يرحمه البدء بالاسم، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير."

فالكلمة تتغير دلالتها بتغير المقام الذي وردت فيه، ففي الموقف الأول كان الغرض طلب الرحمة لحي بعد فعل العطاس فجاء الطلب من خلال الابتداء بالفعل، واقترنت الرحمة هنا بالرحمة الدنيوية، ولما كان الغرض في الحالة الثانية طلب الرحمة للميت تم الابتداء فيه بالاسم.

4-السياق الثقافي:

يتم تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن ترد فيه الكلمة، فمثلا كلمة "عقيلته" تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلا، وكلمة "جذر" لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات. وحتى يكون هناك اتفاق بين المتكلمين فإن علماء اللغة يشيرون إلى ضرورة وجود المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة.

ثالثا-مميزات النظرية السياقية:

تتميز هذه النظرية بعدد من المميزات أهمها:

1. تجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي.
2. إن هذه النظرية لم تخرج في تحليلها اللغوي عن دائرة اللغة، وبهذا نجت من النقد الذي وُجِّهَ إلى النظريات السابقة (الإشارية، التصورية، السلوكية).
3. أسهمت النظرية في الكشف عن الخلاف بين المترادفات.

رابعا-الاعتراض عليها:

رغم أن هذه النظرية أثبتت نجاعتها في التحليل اللغوي إلا أنها كذلك واجهت بعض الاعتراضات أهمها:

1. إن فيرث لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك، مع أن المعنى يجب أن يعتبر مركبا من العلاقات السياقية من الأصوات، النحو، المعجم، السيمانتيك.

2. لم يكن فيرث محددا في استخدامه لمصطلح السياق contextمع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف غامضا غير واضح، كما أنه بالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق.

3. إن هذا المنهج لا يفيد مَنْ تُصَادِفُه كلمة ما عجر السياق عن إيضاح معناها، فلن يفيده شيئا أن تقول له إن هذه الكلمة ترد في السياقات الآتية، ولكنه يفيد الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة، واستخداماتها العملية في التعبيرات المختلفة.

أهم المصادر والمراجع:

-أحمد عمر مختار: علم الدلالة.
عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي.
-أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، مبحث صوتي، مبحث تركيبي، دلالي،
-حسن طبل: نظرية السياق بين الموروث العربي واللسانيات الحديثة.